

أحمد علي المناعي

أحد كبار المثقفين والنقاد في البحرين ، ومن أبرز الخطاطين في البلاد وأكثرهم دراية بالخط العربي وأصوله . وهو من النقاد الذين اتسمت كتاباتهم بالشفافية والصراحة التامة . نشط قلمه في عقدي الستينيات والسبعينيات ، فكتب العديد من المقالات النقدية ، ثم أقفل الدرج على قلمه واتجه إلى تأسيس مكتبته الخاصة التي فتحها للجمهور ، وانشغل بتطوير منتداه الثقافي اعتباراً من عام ١٩٩٠ م .

حاول المناعي ، بحكم اقترابه من الأدباء الشباب وإدراكه معاناتهم الفكرية ، أن يأخذ له مساراً نقدياً مختلفاً ، وراح يطرح بعض الآراء النقدية الجريئة في الشعر والقصة والمسرح . إلا أنه وجه اهتماماً خاصاً بالمسرح ، ساعد على إغناء الأدب المسرحي الوليد آنذاك . وقد كتب العديد من البحوث والدراسات التي تعالج الأدب والشعر في البحرين والخليج العربي ، نشر بعضها والبعض الآخر غير منشور .

أصدر المناعي في عام ١٩٧٣ كتاباً بعنوان (التعريف بالحركة الأدبية الجديدة في البحرين) ضم ٤١ صفحة ، إلا أنه من بين أهم الدراسات التوثيقية للنقد الأدبي في البحرين ، فالعبرة بالكيف وليس الكم . وتمتيت أن يستمر هذا الناقد في عطائه بما يملكه من ثقافة واسعة وتضلع في الأدب ليثري المكتبة المحلية بنتائج نحن في أمس الحاجة إليه . وقد تناول في كتابه بالنقد والتحليل محاور هي : الشعر ، والشعر العامي ، والقصة القصيرة ، والنقد الأدبي .

فبالنسبة إلى الشعر ، تعاطف المناعي مع الشعراء الشباب ، وبين ما توصلوا إليه من واقعية في قصائدهم ، متخطية بإصرار النظرة الرومانسية الضيقة ، ونافذة بوعي إلى العالم والإنسان . وهو يرى أن الشاعر البحريني الجديد أخذ يواجه الواقع مواجهة صريحة ، ولم يعد صوته خافتاً تحت أي صورة معينة من الغنائية والمباشرة الساذجة . ويعطي مثالا على ذلك حين اتجه الشاعر علي عبد الله خليفة إلى إسقاط قضية البحار ، التي كانت تعتبر قضية الغالبية العظمى من الناس في الخليج ، على واقع الإنسان المعاصر ، محولاً ما فيها من أبعاد إلى مادة شعرية ، أبرزت بوضوح موقفه تجاه هذا الجهد الإنساني الضائع جراء سطوة المتاجرين بقوت العاملين في استخراج اللؤلؤ من البحر تحت أفسى الظروف وأمر العيش .

واستشهد ببعض قصائد الشاعر ، نقتبس منها هذه الأبيات التي تجسد معاناة

الشاعر :

واحذر البحر، ففي البدء الدوار
عاصف يأتيك .. محموم الأوار
ومياه الشرب في فنطاسنا الهش العتيق
كبقايا القيء في جوف السقيم
زادنا تمر نخيلات عجاف
عاث فيه الدود وطرا .. ثم عاف
بعمد أرز قدره قدر الكفاف

وتطرق في حديثه عن تجربة قاسم حداد الشعرية واعتبره ، علامة مضيئة جاء ليوسع المسار الشعري الجديد ، وليؤكد بأن الأدب ما هو الا توصيل واكتشاف مستمر . وأشار إلى ديوان قاسم حداد الأول «البشارة» الصادر في عام ١٩٧٠م ، الذي عبر فيه عن قضية الإنسان ، متخذاً في ذلك أسلوباً مطبوعاً بالصراحة والوضوح ، معولاً على الرمز كمنبع لإرواء قصائده بأبعاد فنية تعبر عن رؤية سياسية متفائلة إلى حد بعيد ، حسب تعبير المؤلف .

وكعادته عرض المؤلف مجموعات مختارة من قصائد الشاعر تؤكد رؤاه النقدية ، نقتبس منها التالي :

قل للجباه السمر أن تهدي سلام
قل للتراب بأن فسي شط الخليج
رملا يتسوق إلى الحياة
وعيون أطفال تعيش بلا جباه
ولسوف يرتاد الجميع ذرى الجبال
بلغ سلاما للرجال
واصرخ بهم : نسر جديد
سيهب من عين الخليج
نسر كبيري
ومن الخليج إلى الجنوب

وتطرق إلى تجربة علوي الهاشمي الشعرية ؛ فوصفه بأنه صوت ثالث متفرد في

حركة الشعر الشابة ، ذو منبت رومانسي ما تزال الغنائية تلون قصائده حتى في حالات الفصح والتعرية لواقعه المستكين . تشعرك قصائده أنك أمام شاعر يمتلك السيطرة على اللغة والموسيقى ، ونقل تجربته بصدق عبر ألفاظ رقيقة موحية وعبارة بسيطة التركيب . ويرى المناعي أن أنضح قصائد مجموعة الهاشمي الأولى «من أين يجيء الحزن» الصادرة في عام ١٩٧٢م قصيدة «الطوفان» ، التي حاول فيها أن يحقق موروثا شعريا عن طريق العلاقة بين الماضي والحاضر فحاول أن يوصل بين الجد المتمرد والابن الثائر . ومن بين ما استشهد به من شعر الهاشمي نذكر التالي :

من أين يجيء الحزن إلي وأنت معي
أبصر في عينيك الأكفان المصبوغة بالدم
تفتق زهرا وحشيا
وجيادا نافرة الأعناق تخب الأرض
وترقص فوق جبال الهم
قومي نرقص فالحلبة خالية
والموسيقى عالية النبرة تدعونا للرقص
ولحن الموت ينادينا مبجوح الصوت
يزفر في أضلعنا صخبه
والأرجل كاد يبيت البرد مفاصلها

تناول المناعي الشعر العامي ، وقال بأن العامية هي لغة الممارسة اليومية التي تربط أفراد المجتمع على اختلاف مستوياتهم وطبقاتهم . وبهذا النهج تسنى للكلمة الشعرية الجديدة أن تتغلغل إلى صفوف الجماهير الكادحة . وذكر بأن اختيار الشاعر للموال وسيلة ناجحة مارسها عن وعي وإدراك سليم لقيمة الكلمة على هذا الفن . فالموال من أبرز فنون الأدب الشعبي في الخليج ، وأكثرها صلة بوجودان الشعب ، صب فيه كل همومه وأحزانه وأحلامه .

وتدعيما لوجهة نظره هذه ، طرح نماذج من الموالم للشاعر علي عبد الله خليفة ، منها قصيدة «عذاري» :

(عذاري) لي متى تسقين ذاك النخل لبعيد
عطاشة ننتخي يمج وترفع صوتنا ونعيد
نشوف الكيظ عيد بالنخل واحنا بلبيا عيد

(عذاري) لى متى بها الساب يجري الماي من دوني؟
نشف ريج العشب، يا عيب تركج زرعج الدوني؟
عجب عكس الوفا تعطين! يا أهل الخير ودوني
شمال العين كنت يممه وراحت تسكى اللي بعيد

قدم المناعي عرضا موجزا عن القصة القصيرة، وذكر بأنه في البداية لم تهتد القصة البحرينية إلى البناء الفني الجديد من حيث الشكل والمضمون، فقد لفحتها ترسبات القصة التقليدية، ومن مظاهرها أسلوب السرد التقريري، والخطابية، والبطل السلبي العاجز عن التعبير عن أزماته وهمومه.

وتناول أعمال أربعة من القصاصين البحرينيين هم خلف أحمد خلف، ومحمد الماجد، ومحمد عبد الملك، وأمين صالح. وقد أشار إلى مقال صغير في جريدة الأضواء حول القصة القصيرة للقاص خلف أحمد خلف، دعا فيه إلى ضرورة إيجاد قصة متجاوبة مع الواقع، غير أنه - أي القاص خلف - لم يحالفه التوفيق في كتابة القصة المتجاوبة مع الواقع، فجاءت الموضوعات قديمة ومستهلكة، وبدت المعالجة ضعيفة. والأسلوب لزمه التقرير والوصف التسجيلي، والأحداث والمواقف متكلفة ومفتعلة أحيانا، واختفت ملامح الشخصيات عندما تقلد القاص دور الرواية.

ثم تناول تجربة القاص محمد الماجد، الذي تطرق في قصصه منذ البداية إلى قضية الضياع والعبث عند الجيل الجديد من الشباب، مركزا في قصصه على إبراز النفسية القلقة الضائعة وسط زيف الحياة.

ويرى المناعي أنه من خلال مجموعة الماجد «مقاطع من سمفونية حزينة» يتم التعرف على ملامح القصة وشخصياتها. فالقصة تتحرك في إطار رومانسي تراجيدي صوفي، يجعلها بعيدة كل البعد عن المفهوم الفني للقصة. فهي أقرب إلى المذكرات والخواطر، خاصة أن وحدة الأسلوب وتكرار الفكرة والشخصية الثابتة هي سمة المجموعة القصصية كلها.

ويمضي المناعي في نقده فيقول إن هذه الوحدة تؤكد أن البطل في المجموعة هو المؤلف نفسه، يطرح نظرتة الوجودية للواقع.

يؤكد المؤلف أن البداية الفعلية للقصة الواقعية تمت على يد القاص محمد عبد الملك، الذي صدرت له مجموعة قصصية بعنوان «موت صاحب العربة» في عام ١٩٧٣م، حيث ينزع القاص في مضمونه إلى التعبير عن البيئة المحلية، وبالذات

كفاح الطبقة الفقيرة في المدينة والقرية .

ويركز على صراع الإنسان مع قوته ويرسم بالحوار الداخلي مدى ارتباط هذا الإنسان ببيئته ؛ فتأتي الأجواء في قصصه مشبعة بالحركة واللون .

ومن ناحية أخرى يرى المناعي أن عبد الملك يعتمد كثيرا على تصوير الأحداث والمواقف إلى درجة الحرفية ، مما يجعل معظم قصصه تخلو من الرؤية الواضحة . فالتعبير عن صراع الإنسان الفقير مع الحياة وقوت يومه لا يكفي إن لم يكن هناك موقف ورؤية للبطل ، تجعل من القصة فنا متكاملًا ذا قيمة .

أما بالنسبة للقاص أمين صالح فهو يرى أنه من الشباب الذين استطاعوا أن يطوروا أدواتهم ويكونوا لهم أسلوبًا متميزًا . فهو يعتمد في أسلوبه على الإيجاز وشحن الجملة بدلالات وأبعاد عميقة في الرؤية والحوار المركز . كما يؤكد المناعي أن القصة عند أمين صالح غوص في أعماق الواقع المعاش والأشياء ، وكشف عن العلاقات الخفية التي تتحكم في مصير الإنسان وحركته .

وفي حديثه عن حركة النقد الأدبي في البحرين ، تناول تجربة ناقلين هما الدكتور محمد جابر الأنصاري وحسين الصباغ ، وقال : «يعتبر محمد جابر الأنصاري من أوائل النقاد الذين ساهموا في دفع الحركة الأدبية عن طريق تناول أدب الشباب بالتحليل والمنافسة في الشعر والقصة . ولقد ساعدت مساهماته النقدية المبكرة في إيجاد المناخ الأدبي الجديد في منتصف الستينيات . واهتم الأنصاري كثيرا بأدباء الفترات السابقة وتدوين تاريخ الحركة الأدبية في البحرين . ولا شك أن هذه المساهمة المزدوجة عملت على تعريف الجمهور بالأدب البحراني السابق وربطه بالإنتاج الجديد للشباب . من أهم الأعمال النقدية التي تناولت أدب الشباب ما كتبه عن الشاعر علي عبد الله خليفة في جريدة الأضواء البحرانية في أواسط الستينيات .

هناك أيضا حسين الصباغ الذي تناول بعض الأعمال الأدبية للشباب بالنقد في الشعر والقصة . ولكن تأثيره بالمدارس التقليدية في الأدب وإعطاء الذوق الأهمية الكبرى في التحليل ، حال دون استيعابه لكثير من الجوانب الجديدة التي طرحها أدب الشباب ، والوقوف عند المظاهر السطحية للتعبير والانطلاق من التأثير الوجداني^(٢١) .

(٢١) أحمد المناعي . التعريف بالحركة الأدبية الجديدة في البحرين . - البحرين : أسرة الأدباء والكتاب ،